العقاد بين ناقدين

د . يوسف حسن نوفل

قال محمد مندور : في معرض حديثه - عن العقاد ناقدا :

" والعقاد من اولئك النفر القليل الذي يصح ان يقال فيهم مثلما قيل في المتنبي :

..... من أنه قد ملأ الدنيا وشغل الناس واثار الصداقات والعداوات ، وخاض المعارك في شجاعة وصلابة ، وإن يكن صف خصامه قد أثرت له من العداوات ما اضعف من قوة تأثيره في عصره ، وضيق رقعة ذلك التأثير وبخاصة في خصوماته التي لا تقوم حول قضايا أدبية او ثقافية بل حول آراء أو مذاهب سياسية "(١) .

أجل .. يمكن القول ان العقاد ظل ظاهرة فكرية وثقافية طيلة حياته التي بلغت خمسة وسبعين عاما الا قليلا (٢٨ يونيو ١٨٨٩ - ١١ مارس ١٩٦٤) تطلب فيها قلمه في مجالات متعددة تنشى بموسوعيته فهو من ناحية كاتب اسلامي له اكثر من سبعة وثلاثين كتابا حول قضايا الفكر الاسلامي في مقدمتها العبقريات ، وبعض الشخصيات الاسلامية ، وما يتصل بالحضارة الاسلامية ، وما يناقض قضايا اسلامية مباشرة ، او من خلال تناول قضايا فكرية او مذهبية او سياسية (٢) ، وهذا التنوع - خارج نطاق الادب - يقدم لنا مفتاح دراسة النظرة التكاملية والمنهج التكاملي عند العقاد بحثا عن نظرية المعرفة Epistemology ، وهو منهج يستمد وجوده من نظرة العقاد الموسوعية التي ادت بنظريته العامة في التفكير الى ستين :

---

(١) النقد والنقاد المعاصرون ، نهضة مصر د . ت ، ص ٨٠ ، ٨١ .

(٢) عرضنا لذلك في مقالنا منهج التفكير الاسلامي عند العقاد - بكتابنا (قراءات ومحاورات) - المجلس الاعلى للفنون والاداب ، ١٩٧٦ ، ص ١٣١ وما بعدها .

(سنكتفي بذكر المراجع والمصادر في هوامش الصفحات) .

التحفظ المفرط او العداء المفرط ، وفي كلتا الحالتين حدة وغلظة قد تنحرف الى نقد غير موضوعي .

اما السمة الثانية فهي تنوع المنهج تنوعا لا يعني خلطا او اضطرابا او انتقالا بمقدار ما يعني المزاوجة والمعاصرة بين ثقافته الموسوعية المتنوعة من جهة ، وتنوع آراء الدارسين فيه وفنه من جهة اخرى . ذلك ان العقاد اليه يتوجه بحيويته ونشاط فكره وامتداد عمره — عند مجال دون آخر . ذلك انه لا يوافق على مبدأ " القراءة " لكي نكتب ، او بمعنى آخر على النوع " وصل رسائل " فقط او كاتبا " بالتبعية " ، ولهذا فقد بقرأ في غرائز الحشرات ، ذلك انه يرى أن " الاحياء الدنيا " هي سورات الخلق التي تتراءى فيها نيات الخالق كما تتراءى في " النسخة الكبرى " كما ينبغي ان يقرأ ليزداد عبرا كما قال الشاعر :

ومن وعى التاريخ في صدره أضاف اعمارا الى عمره

يقول : " واما اهوى القراءة لان عندي الحياة واحدة في هذه الدنيا ، وحياة واحدة لا تكفيني ، ولا تحرك كل نافي صدري من بواعث الحركة ، والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني اكثر من حياة واحدة في عمر الانسان الواحد ، لانها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق ، وان كانت لا تطيلها بمقاييس الحساب " (١) .

هذا النص — في تصوري — مفتاح فهم ثقافة العقاد الموسوعية ذات الجذور المترابطة ، حيث يضع ايدينا على ارتداد الموضوعات المختلفة ظاهرا الى اصل ، متساءلا عن صلة غرائز الحشرات بفلسفة الاديان ، وفلسفة الاديان بقصيدة غزل او هجاء ، وصلة القصيدة بتاريخ نهضة او ثورة ، وصلة ترجمة فرد بتاريخ أمة

---

(١) أنا للعقاد ، بيروت ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

يقول :

" وحقيقة الامر انها كلها مادة حياة ، وكلها جداول تنبثق من منبع واحد وتصب اليه " ، " وكلها امواج تتلاقى في بحر واحد وتخرج بنا من الجزء الى التخليط الكبير " (٤) .

وبين تأثير الكتب : العلمية والادبية والفلسفية فيه بين ضبط ودقة في الاولى ، وتوسيع دائرة العطف والشعور والجمال في الثانية ، وتنبيه البصيرة وملكة الاستقصاء والانتقال من المعلوم الى المجهول ومن الفروع الى الاصول في الثالثة (٥) .

" وهدف الشعوب من الادب والثقافة هو " طلب الكرامة " (٦) مدافعا عن شبهة الكبرياء الملتصقة به لدى بعض الناس ، حتى ليشعر من يعاديه مفرقا بين العقاد : كما خلقه الله ، وكما يراه الناس ، وكما يراه هو (٧) .

هذا هو اساس من اسس موسوعية العقاد التي لم تتوقف عند انعطافية الاتلانتية فيما سبق ، بل تصل مع الادب في اخص خصائصه ، سواء أكان ذلك في دواوينه منذ نظم اولى قصائده ، وهو ابن تسع سنوات وظلمها (٨) -

(وهي تعد قدح العلوم)

علم الحساب له مزايا جمة

وبه يزيد المرء في العرفان

---

(٤) أنا ، ص ١٠٤ .
(٥) أنا ، ص ١٠٤ .
(٦) أنا ، ص ٢٧ .
(٧) أنا ، ص ٢٤ .
(٨) أنا ، ص ٣٤ .

وفيها يمضي مع النحـو والجغرافيا ، واللغـات ... الخ .
حتى استقام له الشعر ، وصار من اعلامه ، باكتمال صدور دواوينه (٩) ، أم كان في اسهاماته الادبية المتعددة ، وبخاصة كتبه المبنية على المقال ، اى التـي نشرت منجمة على هيئة مقالات متتابعة في الصحف ، كان في طليعتهـا اول كتاب له وهو (خلاصة اليومية) الذى صدر سنة ١٩١٢ وفي ١١٢ ص) (١٠) ويمضي في اثره بمشاركته في (الديوان في النقد والادب) هو والمازني سنة ١٩٢١ ثم يمضي في كتبه .
الفصول سنة ١٩٢٢ وفي ٢٩٦ ص) ، ومطالعات في الكتب والحياة سنة ١٩٢٤ (في ٣٣٠ ص) ، ومراجعات في الادا ب والفنون سنة ١٩٢٦ (في ٢٧٦ ص) وساعات بين الكتب سنة ١٩٢٩ (في ٢٦٩ ص) ... الخ .

---

(٩) اخرج العقاد اول دواوينه يقظة الصباح ، ثم جمع اربعة دواوين طبعها فـي ديوان العقاد سنة ١٩٢٨ في ٣٦٠ ص متضمنا يقظة الصبا ح ، ووهـج الظهيرة ، واشباح الاصيل ، واشجان الليل ، ثم صدر ديوان (عابـر سبيل) سنة ١٩٣٧ ، ثم صدر ديوان وحي الاربعين سنة ١٩٣٣ فـي ٧٥/ ص ، ثم هدية الكروان سنة ١٩٣٣ في ١٥٨ ص ، ثم اعاصير مغـرب سنة ١٩٤٢ في ١٨٠ ص ، ثم بعد الاعاصير سنة ١٩٥٠ ، ثم اعيد طبـع ديوان العقاد سنة ١٩٦٧ ، ثم اعيد طبـع الدواوين الخمسـة بعنوان (خمسة دواوين للعقاد سنة ١٩٧٣ ، ثم جمع عاصر العقاد ديوان (مابعد البعيد) سنة ١٩٦٥ ، وقد اختار العقاد مجموعة من شعره في (ديوان من دواويـن) سنة ١٩٥٨ ، ويلاحظ في اسماء دواوينه سمة الاضافة ، اضافة النكـرة الى المعرفـة .

(١٠) يذكر حمدى السكوت انه صدر سنة ١٩١١ استنادا لخبر عن صدوره بالمقتطف في عدد اغسطس ١٩١١ ، اعلام الادب المعاصر في مصر - العقـاد مج ١ ، القاهرة ، ١٩٨٣ هـ ، ص ١٧٥ .

وفي ذلك نجد تنوع اهتمامات مقالاته ، ونجد استجابة اهتمامه الادبي لقضايا الساعة حول التجديد ومعاركه ، حتى لتتحول بعض مقالاته الى كتاب مستقل موسع ، مثلما رأينا في مقاله (رجعة ابي العلاء) في كتابه (ساعات بين الكتب) وكتابه المسمى بهذا الاسم (سنة ١٩٣٩ ، مطبعة حجازي .

على ان هذه الكتب ـ كتب المقالات ـ تتجلى فيها سمة التنوع التي تولدت عن موسوعيته ونظل إطلالته على محتويات كتابيه : ساعات بين الكتب بجزأيه (١١) ، وعلي الاشهر فنري جمعه بين موضوعات متعددة تتلاءم مع طبيعة مقاله الصحفي المتجه الى طبقات متعددة من الجماهير ، فنجد مايلائم ذلك من (ساعات بين الكتب) و يضم بنسبة اكبر الدراسات الادبية والنقدية يليها الدراسات الاجتماعية ، ثم السير ، ثم الدراسات الدينية ، فالنفسية ، فالتاريخية ، فالفكرية ، فتناول الفنون الأخرى كالموسيقى ثم الدراسات اللغوية .

وفي كتابه (علي الأشهر) تجد التنوع يختلف عما سبق ، اذ نجد طغيان موضوعات الدراسات الاجتماعية ، فالادبية ، والسير ، ثم التاريخية .

وهكذا نقف من هذين النموذجين على صورة من صور التنوع والتعدد في اهتمامات العقاد المتلائمة مع موسوعيته من ناحية ، ومع طبيعة نشاطه الصحفي من ناحية اخرى حيث مخاطبة الاهتمامات المتنوعة لدى الجماهير .

---

(١١) النهضة المصرية ، ١٩٥ ، ط ٣ ج ١ ٥٤٢ ص ، ج ٢ ٣٨٧ ص ، وعلي الاشهر ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

ثم هو يكتب عن اعلام الشعر بادئا بابن الرومي في كتابه التيـــــم (ابن الرومي حياته من شعره) (١٢) الذي اتضح منهجه الفني فيـــه ثم مضى مع مجموعة اخرى من الشعراء في كتبـــه :

عمر بن ابي ربيعه ، وجميل ، وشعراء مصر وبيئاتهم في الجيـــــل الماضي ، ورواية قصير ، وتذكار جيفي ، وعرائس وشياطين (١٣) .

ثم كانت مباحثه الادبية التي لا تقتصر على البيئة المحلية للادب حيـث نظرته العامة للآداب العالمية من مثل كتبـه : دراسات في المذاهب الادبية والاجتماعية - بحوث في اللغة والادب ، وعظماء المفكرين في القرن العشريـــن ، وبين الكتب والناس ، والوان من القصة القصيرة في الادب الامريكي ، وشاعـــر اندلسي وجائزة عالميـة .

أو نظرته العامة للغة العربية في كتابه (اللغة الشاعرة مزايا الفـــــن والتعبير في اللغة العربية) (١٤) وفيه يتصدى العقاد بهمة فنية لدراســـة سر العربية في الحروف والمفردات والاعراب والعـــروض والفصاحة والمعجم والشعر يقـول : " ومكان الشعر العربي في الايديولوجية " بأنه اكثر من ادب Litereture وانه تعبير عضوي Organic من الحيـــاة الباطنة ، فهـو تنفيس حر عن الوجدان في قضاياه الخاصة والعامـــــــــة ص ١٢٢ .

---

(١٢) طبعة حجازي ، ١٩٣١ .
(١٣) جمعت هذه الكتب في مجموعة اعلام الشعر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط ١ ١٩٧٠ في ٧٥١ ص ، وصدرت طبعاتها الاولى بالقاهرة بيـــن سنة ١٩٣٢ ، ١٩٤٥ .
(١٤) القاهرة ، الانجلو ١٩٦٠ ، ١٥٦ ص ، و ط مكتبة غريب ، فـــي ١٨٤ ص .

ولأن العقاد ظاهرة فكرية وثقافية فقد تعددت معاركه حتى ليمكن القول انه لم تقم معركة ادبية او فكرية خلال عمره المديد الا وكان يشارك فيها ، وفي معاركه كان حريصا على سمة " الفردية " يخوض معركته وحده دون الانتماء الى جماعة ، فهو يخاصم شوقي شاعر القصر بماله من نفوذ ، من ذلك مهاجمته مهرجان تكريم شوقي بمناسبة مبايعته اميرا على الشعراء في ابريل ١٩٢٧ ، وكان المهرجان برئاسة سعد زغلول زعيم الامة التي ينتمي اليها العقاد ، ولم يمنعه ذلك من مهاجمة المهرجان ونشر حملته في افتتاحية الجريدة الوفدية التي يكتب فيها .

ويمكن ان يقال ذلك بالنسبة لمعاركه (١٥) مع الرافعي حول مفهوم الشعر سنة ١٩١٤ ، ومع طه حسين حول النقد اللاتيني والنقد المكسيكي ، وزكي مبارك سنة ١٩٤٢ وهيكل ، ولطفي السيد ، وتوفيق دياب ، ومكرم عبيد ، والهلباوي ، ومظهر ، وقلاب ، وابي شادي ، والحكيم ، ومندور ، والخولي ، وبنت الشاطئ سنة ١٩٦٤ ، والزهاوي ، وسلامة موسى ، والعالم ، وعبد العظيم انيس ، ومحمد كامل حسين سنة ١٩٦٢ ، واحمد ضيف .

وهي معارك متعددة متنوعة ينعكس طبيعا طابعه الموسوعي في تنوع موضوعاتها ودوافعها ، والطابع الفردي في طريقة مشاركته فيها ، وليس امر "العداوات" هو كل ما خلفه العقاد من هذه المعارك ، وما اضعف تأثيره في عصره ، كما يذكر مندور ، بل ان تنوع هذه المعارك ، واصرار العقاد على خوضها بحماسة الجندي المقاتل المصر على النصر استنفد جهد العقاد النقدي ، وحاله عن اكمال

---

(١٥) المعارك الأدبية في الشعر والنثر والثقافة والقومية العربية ، انور الجندي القاهرة ، ١٩٦٦ ، ومعارك العقاد ، عامر العقاد ، بيروت ١٩٧١ .

نظريته النقدية ، الامر الذي يجعلنا نتفق مع ابراهيم عبد الرحمن في تقريره ان نظريته النقدية تكتمل (١٦) ومع مندور فيما نظناه عنه في صدر حديثنا .

وفي جملة اهتمامات محمد مندور النقدية قدم لنا كتابه (النقد والنقاد المعاصرون (١٧) ، وقد افرد للعقاد بضع صفحات (١٨) حاول فيها الالمام بأطراف نظريته العامة في الحياة والادب والنقد مدركا انها " نظرية واسعة متشعبة " ومقرراً ان " العقاد من النفر القليل في بلادنا الذين نستطيع ان نستخلص لهم من مجموع إنتاجهم الثقافي فلسفة عامة في الحياة والادب ، وهي فلسفة يمكن ان نجملها في لفظتين : " الفردية ، والحرية " (١٩) .

واذا كان مندور قد ارجع الى " الفردية " عند العقاد مواقفه عند الحكم المطلق والمذاهب الادبية ، فانه يرجع اليها ـ كذلك اهتمامه بالشاعر الذي يدرسه ، واهتمامه بدعوته التجريدية في الشعر هو وشكري والمازني حيث الاهتمام بالوجدان الفردي ، وللعقاد اهتمام بحرية التفكير والتعبير عن الشخصية الانسانية (٢٠) .

والحق ان " الفردية " عند العقاد ـ فيما نتصور ـ مرجع من مراجع انحراف مذهبه النقدي عن جادة الحياد ، وسبب من اسباب نقده الانفعالي الذي قد يعنف ويسرف متجاوزا الحدود ، مفصحا او غير مفصح عن دوافع ودوافع شخصية ذاتية ، حتى ليمكن القول ان هناك فارقا واضحا بين نقده معاصريه (وبخاصة) احمد شوقي ، وخصوم معاركه ، من ناحية ، ونقده غير المعاصرين له (كابن الرومي ، وابي نواس ... الخ) ، ففي نقده المعاصرين

---

(١٦) فصول مج ٣ ع ٤ ١٩٨٣ ص ١٣٥ وما بعدها .
(١٧) نهضة مصر ، القاهرة د.ت تناولا حسين المرصفي ، ومخائيل نعيمه ، وعبد الرحمن شكري ، وعباس محمود العقاد (٧٦ - ١٥٨) ، والمازني ، ولويس عوض ، ومحمد مندور ، ثم النقد الايديولوجي .
(١٨) تحدث عنه ايضا في كتابيه الشعر المصري بعد شوقي ص ٣٤ ، وقضايا جديدة ص ٨٨ ، ومسرحيات شوقي ص ٥٨ ، وفي الميزان الجديد ص ١٢٤ .
(١٩) ص ٨٩ .
(٢٠) انظر مقاله بالهلال جـ ١ مج ٤٥ ص ٢٤ .

تتجلى روح الخصومة والعداء ، وتعلو صيحات الانفعال والوجدة ، وليس أول على ذلك من نقده شوقيا في (الديوان) ، كما يشهد بذلك مندور وغيره من قرأوا هذا النقد الذي غالى فيه غلوا شديدا ، فقد ولدت هذه الفردية نزعة من الاعتزاز بالنفس والزهو بالفكر حتى ليظن بغيره هبوط المنزلة عنه وقصور التفكير بالنسبة اليه ، مما جعله يخلط كثيرا بين موضوعية النقد وضعفه الشعور ، ومما جعله قادرا على ادارة نوع من الجدل الرامي الى طمس معالم الجودة في العمل المنقود ايمانا منه بأن النقد تقويم او حكم او معيار مما افتقد نقده معاصريه روح التفسير والشرح والاضاءة النقدية في غيرة تحمله من العمل المنقود وبيئته على تفهمه وعلى ملامح الجمال الفني فيه ، وان تحقق التفسير والتعليل في دراساته الادبية ص (١٤٥) .

وقد وفق مندور توفيقا واضحا في بيان هذا الغلو في نقد العقاد شوقيا اذ ارجع المعركة الى ما قبل سنة ١٩٢١ وقت صدور الديوان (٢١) حيث علق على قصيدة شوقي في بطرس فالي في (خلاصة اليومية) سنة ١٩١٢ ، وهذا الاسراف والغلو جعله يشن هجوما عنيفا على شوقي فيهاجم شعره كله ، ثم ينقد غياب الوحدة العضوية فيه ، ثم ينتقل لقاييس فرعية أخرى مثل : " الاحالة " ، و " التقليد " مما عرف لدى القدماء " ، وينقد مسرحيته (قمبيز) وليس له في النقد المسرحي سوى هذه المحاولة التي اعتبرها مندور ـ بحق ـ " جزءا من حملته الجامحة العنيفة على شوقي " باسم التاريخ تارة واستخدام الاسماء التاريخية تارة ، والناحية اللغوية تارة مما يجعلنا نتفق مع مندور في قوله ان " هذا النقد قد جاء ابعد ما يكون عن اصول هذا الفن ، التي يلوح ان الاستاذ العقاد لم يحسن بدراستها دراسة مستفيضة " لانه لو كان معنيا بفن الادب التمثيلي لوقع على عيوب فنيه بالمسرحية ، ولهذا رأى مندور ـ بحق ـ ان هذا من " نقد العقاد الهدام " .

---

(٢١) أصدره هو والمازني وكان في نيتهما إصدار عشرة أجزاء لم يصدر منها الا جزءان طبعا طبعتين متتاليتين بعد نفاد الطبعة الأولى .

لقد كان ظهور (الديوان) طفرة عاطفية من العقاد والمازني ، او خطوة مرتجلة ، والدليل على ذلك انه حين ظهر جزآ (الديوان) في يناير ثم فبراير من عام ١٩٢١ ، وأعيدت طباعة كل منهما بعد شهرين من صدورهما كان الوجد في المقدمة بالغض نحو اكمال الاجزاء العشرة لاتمام عمل مبدوء كما تقول المقدمة ، ولأن الفكرة ذات دافع شخصي لم يصدق الوجد الصادر في المقدمة ، ذلك أن العداء من كل منهما كان موجها إلى شخصين ، فالعقاد يريش سهامه لشوقي ثم للرافعي ، والمازني يسدد رماحه لشكري ثم للمنفلوطي .

ولو تصفحنا الجزء الأول (٢٢) لوجدنا الهجوم على شوقي يستغرق بعد المقدمة ـ الصفحات (٥ - ٥٦) أي (٥١ صفحة ، بينما يستغرق الهجوم على شكري الصفحات (٥٧ - ٧٢) أي ١٦ صفحة .

ولو تصفحنا الجزء الثاني لوجدنا الهجوم على المنفلوطي في الصفحات (٧٧ - ١١٤) اي ٣٧ صفحة ، والهجوم على شوقي (١١٥ - ١٦٩) اي ٥٤ صفحة وهو قدر يقارب قدر الصفحات المخصصة لشوقي في الجزء الأول ، ثم يخصص للرافعي من ص ١٧٠ الى ١٧٦ ، ثم ينفرد شكري بالجزء المتبقي من (١٧٧ - ١٩٠) ، اي ١٣ صفحة ، وهكذا نجد نصيب المنفلوطي من الصفحات يتراوح بين ١٠٥ ص عن شوقي ، و ٣٧ ص عن المنفلوطي ، ٢٩ ص عن شكري ، و ٧ ص عن الرافعي .

اما مقدمة (الديوان) ـ وهي مقدمة قصيرة في صفحتين ـ

---

(٢٢) طبعة الشعب ط ٣ .

نتبين ان وجهته " الابانة عن المذهب الجديد في الشعر والنقد والكتابة" ، وانه اقامة حد بين عهدين لم يعق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهمـــا " ، وانهما فيه قد اختارا تقديم " تحطيم الاصنام الباقية على تفضيل الهادى الحديثة ، ووقفا الاجزاء الاولى على هذا الغرض ـ يقصد ان تحطيـــم الاصنام حسب تعبيرهما ـ وسخرا فيها بنماذج للادب الراجح من كـــــل لغة وقواعد تكون كالمسمار وكالميزان لاقدارها " .

اى ان خطتهما تحطيم الاصنام اولا ، ثم النقد التطبيقى من كل لغـــة وقد حققا الهدف الاول بمهاجمة من يرون مهاجمته ، ثم نصبا هدفهمـــا الثانى ، وهو الاهم ، بما يؤكد دوافعها الذاتية ، وافكارهما الارتجاليـة التى لم ينج منها استاذهما ورفيق طريقهما " شكرى " الذى وقع نتيجة خـــلاف شخصى بينه وبينهما لا بسبب خلاف فكرى او منهجى .

وهذا كله يدفع الباحث المحايد الى التساؤل . ماذا قدم (الديوان) وما مدى ما حققه ؟

ان حدة انفعال (الديوان) خفتت بسبب انشغال العقاد بمعاركـــه الادبية المتعددة ، ومعاركه السياسية والحزبية ، وبسبب انفراط عقـــد الجماعة ، وخفة حدة الخلاف بين العقاد وشوقى ، وانشغال العقـــاد ببحوثه ودراساته الموسوعية ، وانصراف المازنى عن الشعر واتجاهـــه للسخرية ، وعكوف شكرى على الشعر وقليل من النقد واستمرار العقـــاد فى انتاجه المتنوع .

ولم يكن فلو العقاد ماثلا فى الديوان فحسب ، بل نلتقى به ايضا فـــى (شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى) (٢٢) حين تناول طائفة من الشعراء

---

(٢٢) مجموعة اعلام الشعر العربى ، بيروت ط ١ .

هم : حافظ ، وحنفى ، وصبرى ، وعبد المطلب ، والبكرى ، وفكـــرى ، ونديم ، واللبشى ، والبارودى ، وعائشة التيمورية ، وشوقى .

غير انه هنا يسلط مزيدا من العناية [illegible]
على قسط كبير من الكتاب [illegible]
ولا شعر النفس الخاصة [illegible]
للبحترى فى الربيع وهو :-

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكـــا
من الحسن حتى كاد ان يتكلمـــا

" ليساوى كل ما نظم شوقى فى ربيعياته وبحانياته ومناظر النيل او مناظـــر البحور " (٢٤) .

ويذهب الى ان " الجيل الذى نشأ بعد شوقى لم يتأثر به اقل تأثيـــر لا من حيث اللغة ولا من حيث الروح ، بل ربما كان الأصح ان شوقيـــا تأثر بمن نشأوا بعده " (٢٥) ، ويقصد بذلك تأثير جماعته حيث اخـــذ يشرح منهجها (٢٦) .

وربما كان من الحق القول إن كتابات العقاد فى مقدمات الدواوين - ودواوينه ودواوين غيره - ذات قيمة فى الجانب التنظيرى فى نقده (٢٧) ، اكثر مما نجده فى الديوان ، و (تمهيد فى الميزان) ، فهو يصدر ديوانـــه هدية الكروان ، وديوانه أعاصير مغرب ، وما بعد الاعاصير ، ووحى الاربعين

---

(٢٤) نفسه ص ٣٦٤ .
(٢٥) نفسه ص ٣٨٦ .
(٢٦) نفسه ص ٣٨٦ .
(٢٧) من الطريف ان للعقاد احاديث عن النقاد والنقد ، انظر حديثـــه مع عبد الحى دياب (فصول فى النقد الادبى الحديث ، الهيئـــة ص ٨٦)

وعابر سبيل ومقدمات (٢٨) تتعدد موضوعاتها بين : موضوع الكروان بدلا من البلبل ، وعن ذمة النقد ، والشعر العصري ، والموضوعات الشعرية

ولم يقتصر ذلك على د واوينه بل نراه في مقدمة د واوين غيره ، كتلك المقدمة بعنوان : (الشعر ومزاياه) في مقدمة ديوان (لآلي وافكار) لشكري الصادر سنة ١٩١٣ ، يقول العقاد :-

" ليس الشعر لغوا تهذى به القرائح فتلقاه العقول في ساع كلالها وفتورها فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن في حياة الناس .

لا . بل الشعر حقيقة الحقائق ، ولب الالباب ، والجوهر الصميم من كل ماله ظاهر في متناول الحواس والعقول ، وهو ترجمان النفس والناقل الامين عن لسانها ، فان كانت النفس تكذب فيما تحس به او تناجي بغيها ويمين ضميرها فان الشعر كاذب وكل شيء في هذا الوجود كاذب والدنيا كلها رياء ولا موضع للحقيقة في شيء من الاشياء" ، ثم يقول :-

" ليس لشعر التقليد فائدة قط وقل أن يتجاوز أثره القرطاس الذي يكتب فيه او المنبر الذي يلقى عليه وشتان بين كلام هو قطعة من نفس وكلام هو رقعة من طرس " .

وقد نرى في هذا النص واشاله سموا عن الجانب الهدام عند ، ونستطيع ان نضيف جانبا من جوانب هذا النقد الهدام يتمثل في مشاركة العقاد والمازني في توسيع نطاق حملتها القاسية على علم الشعر شوقي ، وعلم النثر المنفلوطي آنذاك ، وعلى الرافعي ثم على شكري ، واتهامهم الأخير بأنه " صنم الاعجب

---

(٢٨) انظر خمسة د واوين للعقاد ، الهيئة المصرية ١٩٧٣ ، ص ٧ - ١٠ ، ص ٩ - ٩٧ ، ٢٧٧ - ٣٨٠ ، وانظر كتابي ديوان الشعر في الأدب العربي الحديث ، دار النهضة العربية ص ٣ - ٢٠ .

وبالجنون ، ومعلوم منزلة شكرى فى هذه الجماعة ودوره فيها ، وهو دور يقطع بخطأ تسميه هذه الجماعة باسم (الديوانيين) (٢٩) لانه فوق كونه غير مسهم فى الكتاب ، كان احد اهداف الرماة فيه ، وصريع رماحهم الهوجاء ، وما كان ذلك راجعا لاختلاف فى المنهج النقدى ، وهو استاذهم فيه ، بل كان راجعا الى خلاف شخصى (٣٠) بين شكرى والمازنى ، اذا اخذ الاول على الثانى سرقاته من الشعر الغربى . بل ان المازنى يذكر ما لشكرى من منزلة وما عليه من فضل ادبى (٣١) ، بل يعتذر عما بدر منه (٣٢) ، وكتب العقاد شيدا به (٣٣) :

ولهذا يمكن القول ان ما نادى به العقاد هو جوّ مما نادى به زميله وما هو ذو صلة وثقى بقراءاتهم الانجليزية بهما وافقنا مندور فى قوله (٣٤) :

" وان يكن من العدل ان نقر للاستاذ العقاد بنوع خاص بعد رتبته الفائقة على تمثل جميع ما يقرأ وهضمه ، حتى يستحيل الى جزء من ذاته ومن العناصر المكونة لشخصيته الثقافية والادبية ، حتى ليصعب أن يرجع هذا الرأى او ذاك من آرائه الى هذا الاديب او المفكر الغربى او ذاك ، فالعقاد من القوة بحيث يطبع جميع آرائه بطابعه الخاص وكأنها منبعثة عن ذاته تلقائيا حتى لنحس بأن الرجل لم يجانب الصواب عند ما قال عن نفسه فى مقدمة مجموعته (مراجعات فى الآداب والفنون) : " لو ان للخواطر يوم بعث تردد فيه إلى مناشئها لخلت انها ستبعث معى فى جسد

---

(٢٩) شاعت لدى كثير من الدارسين .
(٣٠) لمراجعة التفصيل يرجع الى مقدمة الجزء الخامس من ديوان شكرى ، ص ٣٧٣ .
(٣١) السياسة فى ٥ ابريل ١٩٣٠ ، و ١٢ ابريل ١٩٣٠ .
(٣٢) البلاغ سبتمبر ١٩٣٤ .
(٣٣) الهلال فبراير ١٩٥٩ .
(٣٤) ص ٩٥ .

واحد يوم ينفخ في الصور الموعود ، او فعادت معي حيث كنا في السماء ولو كان لها الف شبه يربطها بآراء المرتشين وكتابات الكاتبين ، فانما انا قد عشتها وعذوتها فلا استطيع قائما بغيرها كما لا يستطيع احد ان يتخيل جسده قائما بغير أعضائه او يتخيل رأسه ويديه وقدميه وسائر جوارحه راجعة يوم القيامة الى جثمان غير جثمانه ... الخ»

من هنا كان تناول محمود الربيعي في كتابه الحافل (في نقد الشعر)(٣٥) لهذا التأثير الانجليزي ، والرومانتيكي بنوع خاص في الرفقاء الثلاثة ، وبخاصة العقاد (٣٦) وبحكم حصيلتهم من الثقافة الانجليزية ، وهو تأثير لم يلغ شخصياتهم ، ولم يطمس جوانب الابداع والاضافة لديهم .

ويضع الربيعي يده على مجموعة من المبادئ النقدية ذات جذور رومانتيكية في نقد العقاد ، فيتقدم خطوة عما صنعه مندور في وقت سابق ، من هذه المبادئ : " الصدق الشعوري ، وقياس الاصالة الشعرية بمقدار تعبيرها الصادق عن الحالة الشعورية التي كان العمل الشعري نتيجة لها" (٣٧) ، وهو مقياس يميز الرومانتيكية من الكلاسيكية في محاكاة الطبيعة ، وقد رتب العقاد على ذلك الصدق الشعوري ان يكون شعر الشاعر دليلا على شخصيته وكاشفا عنها وطبق ذلك في كتابه (ابن الرومي - حياته من شعره) ، وقد كان يؤمن بأن الشعر تعبير عن العواطف - كما تحدث زملاؤه : شكري والمازني - وحديثه عن النظرية التعبيرية بدنيه من حديث ورد ذكرت عنها (٣٨) ، كما انها اصل نقده العنيف لشوقي ، وان كنا نختلف مع محمود الربيعي في ذلك ، ونرجع حملة العقاد على شوقي الى انفعال شخصي ، وموقف غير موضوعي ، والا فهل من ينكر لوجود شخصية شوقي في شعره ؟ ، وهل من جاحد لصدق انفعال

---

(٣٥) دار المعارف ط ٤ ١٩٧٧ - الفصل الخامس - اثر النظرية الرومانتيكية في جماعة الديوان ص ١٠٠ - ١٤١ .

(٣٦) رأى - بحق ان العقاد الناقد الاول لهذه الجماعة والمتحدث بنظريتها ص ١٢٤ .

(٣٧) ص ١٢٤

(٣٨) انظر العقاد مصر وميثاتهم في الجيل الماضي ، ص ١٦٣ .

. شـــوقيين فـــى كثير من شعره أم يبين . تأثرت فى قصائده الدينية؟ ؟
وأيـــن شـــوقـــى فى قصائده الغزلية وقصائده فى رثاء؟ ؟ .

راننا نتفق مع الربيعى فى أن نص العقاد الموجه الى شوقى فـــى الديوان ، ومطلعه :- " اعلم - أيها الشاعر العظيم - أن الشعر من يشعر بجوهر الاشياء لا من يجدّدها ... الخ " - إنه من أهم الوثائق النقديـــة عند العقاد (٣٩) ، ولكنا نتساءل عن مدى تحققه فى شعر العقاد وفيما اشرت اليه من شعر شوقى .

ومن النقاط التى تعكس تأثر العقاد بالنظرية الرومانتيكية فى الشعـــر ان الشعر معانا فنية معقدة ، والعلاقة بين الفكر والشعور والخيال (ولنا معـــه وقفه) ، وارتباط الشعر بالحقيقة ، وان الطبيعة كائن حى حتى ليتحد الشاعـــر والطبيعة كما يغنى الصوفى ، وغير ذلك من مبادئ قد لا تتصل اتصالا كبيـــرا بالرومانتيكية ، ولعل هذا التناول الفنى الواعى للصلات الفنية بين طليعة النقـــد الحديث والرومانتيكية خير مفسر لطريق فهم دورهم النقدى الكبير ، وفى هـــذا المجال أيضا ما كتبه ابراهيم عبد الرحمن فى مجلة فصول (٤٠) واقفا على اصـــول تراث جماعة الديوان النقدى ومصادره فى قراءة مقارنة حددت وضع هذه الجماعـــة واسهامها ، وطرق تأثيرها لحركة الرومانتيكية ، وأشارت الى الروح " العدوانية" فى نقدهم ، وهى روح مخلفه بطابع انطباعى الى جانب نقدهم العلمـــى الآخر .

(٤١)
أما محمد خليفة التونسى فيجمع فى كتابه (فصول من النقد عند العقاد) طائفة من كتابات العقاد النقدية فى أربعة اقسام ، احدها عن اسهام العقـــاد فى الديوان (١٩٢١) ، وثانيها : نقده مسرحية قميز لاحمد شوقى ،

---

(٣٩) ص ١٣٠
(٤٠) مج ٣ ع ٤ ، ١٩٨٣ ، ص ١٣٥- ١٥٨ .
(٤١) ص ٦ ، ٦٢ ، ٩٢ .

وثالثها : مقدمات دواوين العقاد وخواتيمها . وفصائد للعقاد ، ورأيه فيها مختارات من مقالات العقاد وكتبه .

وقد نبعت هذه الفصول من حب المؤلف لأستاذه ، وتحمسه له مما جعلنا نقف على اسرافه فى هذا الحب والتحمس فيما كتبه عن العقاد ومكانته الأدبية والنقدية ، ونفتقد فيه محاولة من المؤلف لمناقشة آراء العقاد او نقدها ، بالرغم من موازنته بين العقاد وبعض اعلام جيله كطه حسين ، ومحمد خلف الله احمد ، ومصطفى صادق الرافعى ، وبرغم تناوله منهج العقاد (٤٢) النفسى المطبق فى كتابه (ابن الرومى - حياته من شعره) ، و (أبو نواس - الحسن بن هانئ دراسة فى التحليل النفسى والنقد التاريخى (٤٣) ، ومقالاته عن المتنبى ، وأبى العلاء المعرى .

وتمضى الدراسات بنا حول العقاد ناقدا ، من ذلك كتاب عبد الحى دياب بهذا الاسم ، واشارت هنا وهناك فى كثير من المصادر .

ومن الحق أن نذكر محاولات عبد الحى دياب فى دراساته عن العقاد واشهرها كتابه (العقاد ناقداً) (٤٥) ، وهو كتاب مطول يحاول فيه صاحبه الاحاطة بفكر العقاد ، ومعظم خواطره وآرائه متناولا دور العقاد مع صاحبيه فيما عُرف بمدرسة الديوان ، ثم اتجاهات التجديد عند العقاد فى الجمال ، والخلق الفنى ، والخيال ، ورسالة الشعر ، ثم آثار آراء العقاد المتمثلة فى معاركه ونظرياته .

---

(٤٢) ٥١ ، ٥٩ .
(٤٣) القاهرة ، ١٩٥٣ .
(٤٤) مثلما نرى عند عباس خضر فى الواقعية فى الأدب ، دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٧ ص ٨٦ - ٨٩ .
(٤٥) الدار القومية للطباعة ، القاهرة ١٩٦٦ فى ٣٧٢ ص وللمؤلف اهتمامات عديدة بأدب العقاد منها كتابة عن شعره ، ومنها كتابه (مشاكسات ادبية) عن معاركه ، ومنها كتابه (فصول فى النقد الادبى الحديث) ومنها احاديث عن العقاد ومعه - الدار القومية ، مذاهب وشخصيات - العدد ١١٣ ، ١٩٦٥ ، الى جانب كتب أخرى له ، ومن الحق الاشارة المنصفة لجهود عبد الفتاح الديدى فى هذا المجال وهى عديدة .

وقد بدأ الكتاب فى حجم ضخم نظرا لسعى الجمع والاحاطة فيه الناجمتين عن حرص المؤلف على تسجيل كل ما يتصل بموضوعه لدى أستاذه العقاد امتدادا لاهتماماته العديدة به .

اما محمد غنيمى هلال فقد تناول جانب من نقد العقاد ضمن قضايا كتابه (النقد الأدبى الحديث ، مصادره الاولى ، تطوره ، فلسفاته الجمالية ، مذاهبه) (٤٦) ، وبخاصة حديث العقاد عن الوحدة العضوية ، والصورة الفنية وغير ذلك من قضايا كان فيها العقاد مغلبا للجانب النظرى على الجانب التطبيقى لكنه أفاد حركة النقد الادبى على أيه حال .

واشار عبد القادر القط الى عدم التوازن بين الجانب التنظيرى والجانب التطبيقى لدى العقاد وزميله ، وهو جانب على قدر كبير من الأهمية يجعلنا نتفق معه فى قوله فى كتاب " (الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر) (٤٧) :

" والحق أن من يدرس شعر هؤلاء الرواد دراسة فنية فاحصة بعيداً عن التأثر بآرائهم النظرية فى الشعر يجد تفاوتا كبيرا بين النظرية والتطبيق " .

وإن ارتبطت النظرية فى مقدمات دواوينهم بالتطبيق فى تلك القصائد ، كما يتفق معه فى هذا الرأى صديق تعمة (مدرسة الديوان) نسبة الى ماجاء فى هذا الكتاب الصغير يقول (٤٨) .

---

(٤٦) دار النهضة العربية ط ٣ ١٩٦٢ - ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤١٠ - ٤١١ ، ٤١٣ - ٤١٤ ، ٤٥٠ - ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٧٢ .

(٤٧) دار النهضة العربية بيروت ط ٢ ١٩٨١ ، ص ١٣٦ وما بعدها .

(٤٨) نفسه ص ٢٠٤ .

" ولعل الكتاب لا يمثل اهم ما كتب الثلاثة عن الشعر ونظرياته وفنونه " .

كما اشار الى عدم التطابق بين النظرية والتطبيق احمد هيكل فى كتابه (تطور الادب والحديث فى مصر من اوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب الكبرى الثانية)(٩) قائلا :

" الحق اننا لا نرى التطابق الكامل بين مذهبهم النظرى وكل نماذجهم التطبيقية وخاصة بعد امتداد الزمن بهم ، وبُعدهم رويداً رويداً عن التحمس لتجديداتهم " ، ويأخذ فى بيان محافظة العقاد للتطبيق ، حتى تسمية : شعراء الديوان او جماعة الديوان او مدرسة الديوان (٥٠) ويرى ترك التسمية لسببين (٥١) : ظهور الديوان بعد ظهور الاتجاه الشعرى بنحو عشر سنوات ، والسبب الثانى ما تضمنه الديوان من هجوم عنيف على شكرى .

ويرى الربيعى فى كتابه (فى نقد الشعر) ان التأثير النظرى على فكر هؤلاء لم يواكبه تأثير مماثل على انتاجهم الشعرى .

ونرى أن غياب المواءمة بين التنظير والتطبيق لدى العقاد او المفارقة الواضحة بين آراء العقاد والمثلة فى نظريته النقدية فى الشعر المثالى من ناحية ، وما يمكن أن يقف عليه قارئ شعره — نرى ان ذلك راجع الى انه كان يكتب افكاره النظرية فى خضم انفعاله برسالة فنية اصطلح بها هو وصاحباه ، وبثله موقف الجديد من القديم ، او موقف الايثار من التقليد مما تظن انه كان يكتبه من منطلق اداء رسالته النظرية ، وهذا ينقلنا الى الوقوف على رأى النقاد فى شعره ، وهم من الكثرة بحيث يمكننى الوقوف على نماذج من كتابات بعضهم فحسب .

يقف منذور فى (النقد والنقاد والمعاصرون) على تنوع شعر العقاد وانه " اثر لنفسه الضرب على سائر النغمات ، فله الشعر الباطنى ، وشعر المناسبات التقليدية ، بل نراه يحاول أن يكتشف موضوعات جديدة للشعر على نحو ما فعل ديوانه (عابر سبيل) " حتى ليوجه الشعراء الى التغنى بالكروان لا البلبل :

هل يسمعون سوى صدى الكروان
صوتا يرفرف فى الهزيع الثانى

ونجد منذور ديوان (أعاصير مغرب) ، وعجبا لمن يسمي هذا شعرا لانه تنكر في مادته وأسلوبه وروحه ، كما اشار الى الجفاف العقلي في (ترجمة شيطان) في حديثه عنه في (الشعر المصري بعد شوقي) .

ويضي الصحرتي في كتابه (الشعر المصري المعاصر) مع شعر العقاد الذي هو نظم عقل لا شعر قلب مشيرا الى قول مارون عبود أن شعره نظم عقل لا قلب ، وهكذا يؤكد الصحرتي غلبة الفكر على الشعور في شعر العقاد الا فيما ندر في ديوانه (أعاصير مغرب) ، ولا يرى في شعره اي جمال (٥٢) غير انه لا يجحف حظة من الشاعرية ، يقول :

وبهما يقال في شعر العقاد وفي صياغته الجافة وموسيقاه غير الآسرة وظلة تلون شعره بحرارة العاطفة . . ظن يفكر منصف انه احدث شيئا من التجديد في الشعر العربي الحديث ، وان له طائفة من القصائد الغنية الممتازة وبخاصة في الفلسفة العامة ، وعالم الفكر ، وفي الطبيعة ، فضلا عما له من اللمسات الواقعية المعبرة كما في ديوانه (عابر سبيل) ولن يجحد اديب عربي ان للعقاد صياغة مستقلة التي ابتعدت عن الصياغة التقليدية ، وتجردت من الاصباغ والمحسنات البديعية . والملحوظ ان شعر العقاد شعر تفكيري يألوف وتأملي ذاتي وفلسفي خفيف وقل ان تجد فيه شعورا او انفعالا (٥٣)

ويسلط رمزي مفتاح الضوء في كتابه (رسائل النقد (٥٤) على فضل شكري وعلى زميلية وبهما العقاد من ذلك تأثر العقاد بشكري في قصائد زورة على غير موعد ، والقريب والبعيد ، ونحن وزماننا ، وكأس على زكري . وربما وجد بعض الدارسين في الكتاب تحاملا على العقاد وتحيزا لشكري ، ذلك انه كان حادا فيما تناول به شخصية العقاد وطريقة تفكيره ، وشعره .

---

(٥٢) القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ١٠٧ .
(٥٣) نفسه ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .
(٥٤) ط ١ ١٩٣٤ ، مطبعة الاخاء ، ص ٦١ - ٦٨ ، ٨٩ - ١٤٩ .

وقد اختار الرافعي قطعة الحديد التي تشوى عليها اللحم وجعلها اسما لكتابه على السفود ، استمرارا لما بينه وبين العقاد من خصومة تعود الى سنة ١٩١٢ حيث كانا يكتبان في (البيان) ، ثم الى سنة ١٩٢١ وقت ظهور الديوان في الأدب والنقد ، وتنافسهما حول " مي " الأديبة ذات الصالون الأدبي الشهير .

ويمضي مصطفى صادق الرافعي في كتابه (على السفود) (٥٥) ، يتهم العقاد بالسرقة في شعره حتى بلغ جملة ما أحصاه نيفا وثلاثين بيتا .

وما بين الشطط في الهجوم على العقاد ، والاعتدال في تقويم تجربته الشعرية نجد الميل الى مدح العقاد والاشادة بتجربته الشعرية لدى محمد خليفة التونسي في (فصول من النقد عند العقاد) ، وعبد الحي دياب في (شاعرية العقاد في الميزان (٥٦) واحمد ابراهيم الشريف في (المدخل الى شعر العقاد) (٥٧) ومن قبلهما ما أشاد به طه حسين من شاعرية العقاد حين باعده بامارة الشعر (٥٨) ، وما نجده لدى بعض المشتركين في كتاب (العقاد دراسة وتحية) (٥٩) ، ولدى زينب العمري في شعر العقاد (٦٠) ، فهذه الدراسات على الرغم من طابعها الموضوعي ، وميلها الى الدراسة العلمية المتأنية ، كانت تجنح الى انصافه شعر العقاد ، والدفاع عنه ، ومحاولة اثبات جودته ورفعته ، وهكذا نجد العقاد محيرا لماحش شعره كما هو محير لماحش اتجاهه النقدي ، ومنهاه المنهجي ، والا فما تفسيرنا لمقال طه حسين في حفل تكريم العقاد سنة ١٩٣٤ ومنه قوله :-

---

(٥٥) مجموعة مقالات نشرها بمجلة العصور لصاحبها اسماعيل مظهر ، وصدر بالقاهرة ، سنة ١٩٣٠ .
(٥٦) دار النهضة العربية .
(٥٧) دار الجيل ، بيروت .
(٥٨) في حفل اقيم بمسرح الازبكية سنة ٢٧/٤ .
(٥٩) لنخبة من المؤلفين .
(٦٠) دار العلوم ، الرياض ، ١٩٨١ .

تسألونني لماذا اوسن بالعقاد في الشعر الحديث ، وأومن به وحده ، وجوابي يسير جدا ، لماذا ؟ لاني اجد عند العقاد مالا اجده عند غيره من الشعراء ... (٦١) .

وهو مقال طويل يزخر بمدح طه حسين لشعر العقاد مدحا ما اظن ان موضوعي ، وما اظن الا انه يعود الى ملابسات شخصية دفعت طه حسين الى ان ينادي بوضع لواء الشعر في يد العقاد (٦٢) ، وقد تهامس الناس انهما تقاسما دنيا الأدب : هذا له الشعر وذاك له النثر .

والحق ان العقاد قد احسن اليه ند لشوقي وغيره من الشعراء المعاصرين وانه صدر له حينذاك ـ ستة دواوين وستة مجلدات من المقالات ، وانه وضع نشيدا قوميا في غمرة نقد النشيد الذي وضعه شوقي ، فاذا اضفنا الى ذلك انه واحد من ابرز فرسان حركة تجديد الشعر ونقده في طابع رومانتيكي ازاء ـ كلاسيكية شوقي الجديدة هو وجيله امكن ان نفهم مغزى قول من يشيد بشاعرية العقاد من مثل قول عبد الحميد يونس (انما العقاد شاعر) (٦٣) ، واختيار الرأي الثاني من بين الرأيين الدائرين حول شعر العقاد ، احدهما : يجعله ناثرا ، والاخر شاعرا ، حيث اهتدى هو وجيله الى نماذج هي في الشعر الاوربي الرومانتيكي في مواجهة المحافظين في الشعر العربي ، وما ذهب اليه صلاح عبد الصبور في مقاله (شاعرية العقاد) (٦٤) ، حيث جعله " شاعر الانتقال " .

وهكذا نجد العقاد الشاعر في دواوينه (٦٥) الاحد عشر يشير حوله في الشعر ما اثاره حوله في النثر .

---

(٦١) الهلال ـ عدد خاص عن العقاد ، ابريل ١٩٦٧ ، ذكريات في ذكرى العقاد ـ عبد الرحمن صدقي ، ص ٤ وما بعدها .

(٦٢) الهلال نفسه ، ص ٢٠ .

(٦٣) الهلال نفسه ، ص ٦٠ وما بعدها

(٦٤) الهلال نفسه ، ص ٦٨ ، ونشرها بكتابة (نهضة الفكر) ، دار المريخ ، الرياض/ القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٤١ - ٥٨ .

(٦٥) بما فيها ديوانه المختار من دواوينه .

ومن الجوانب المهمة في منهجية العقاد اسلوبه او طريقته في التعبير ، او مذهبه في الكتابة ، وإننا نطالع مقالا للعقاد نشره بالهلال سنة ١٩٦٢ - بعنوان (اسلوب الكتابة في المستقبل) (٦٦) يبين فيه ان اسلوب الكتابة سيتأثر في اسلوبين : احدهما للحفاوة والزينة ، والآخر للمنفعة والضرورة ، ويعرف هذا الاختلاف فارقا بين أسلوب الكتابة في عصر الحصان او عصر الصاروخ ، - ويبين ارتباط الاسلوب بصاحبه مجاراة للنظرية التي كانت ترى أن الاسلـــوب هو الرجل ، وهي نظرية اعيد القول فيها الآن بعكس ما كانت عليه لدى قائلها " بوفون " Buffon .

يقول العقاد :

" فالاسلوب الكتابي مسألة انسانية لا يتجرد من طابع الكاتب ولا ـــن مميزاته " الشخصية " في موضوع من الموضوعات ولو كان خبرا من اوجز الاخبار ولهذا قيل إن الاسلوب هو الرجل او ان الاسلوب هو الانسان " .

وسواء اوافقناه على ان الاسلوب هو الرجل ام لا ، فاننا نحرص على ذكر سماته الأسلوبية كما حددها احمد هيكل في كتابه (تطور الادب الحديث في مصر) (٦٧) ، وسماها (طريقة التعبير المحكم) ويعلل لذلك بقوله :-

" لانه يعمد الى التعبير عما عنده بألفاظ وجمل محكمه . فيها الدقـــة وفيها القصد ، وفيها التركيز ، وفيها دسامة الزاد قبل أن يكون فيها رونـــق الشكل ، فلا افراط في المقدمات ، بل احيانا لا تكون هناك مقدمات ، ولا لجوء الى التكرار او اللف او التوكيد بالكلمة او بالجملة ، لانه لا محل لشيء من ذلك ، وانما المحل الاول لاعطاء أوفر معان واغزر افكار " .

---

(٦٦) السنة ٧٠ - ديسمبر ١٩٦٢ ، ص ٢ وما بعدها .
(٦٧) ص ٣٨٣ - ٣٨٧ .

ثم يقف هيكل على سمات لاسلوب العقاد ويراها في التذييلات الضابطة والاحتراسات المتحفظة ، والميل الى التفصيلات المنطقية لا اللغوية ، واستخدام المقابلات العقلية لا البديعية ، مع الابتعاد عن الزخرف .

من هنا ذهب محمود تيمور الى انه اذا كان لكل كاتب عيب " فالعيب الجلي في كتب العقاد انها لا تصلح ان تزجى وقت القارئ" قبيل النوم حيـــــن يتمكن على الوسادة . (٦٩) .

ومن منهج البحث الادبي عند العقاد يجده متنوعا رحبا ، فالى جانب اهتمامه النفسي ، يولي التاريخ اهتماما كبيرا ، كما يهتم بالناحية اللغويـــة (٧٠) وهذا سبب من اسباب تنوع آراء الباحثين حول منهج العقاد ، ذلك ان فهـــم منهجية العقاد نابع من فهم طبيعة التفكير لديه ، فهو يتحدى التقليد ، كما يقـول :-

" فقد اراد الله - ولله الحمد - ان يخلقني على الرغم مني متحديـــا " متحديا خصوصيا " لكل تقليد من التقاليد السخيفة التي كانت ولا تزال شائعـة في البلاد المصرية والبلاد الشرقية على العموم " (٧١) ، وهو يخضع للمنطق الداعي الى الظنون ، يقول عن صفاته :

" ومن هذه الصفات ان الظنون عندي قوية السلطان ، وطة ذلك عنـــدي معالجة التفكير المنطقي في كل شيء ، فليس اسهل في المنطق من فتح ابواب الاحتمالات ، اما اغلاقها - او الجزم بنفيها - فلا يكون الا ببرهان قاطـــع والبراهين القاطعة قليلة" . (٧٢)

---

(٧٠) ناقشنا جانبا من هذه القضية في كتابنا (قراءات ومحاورات) ، المجلس الاعلى للفنون والآداب ، ١٩٧٦ ، ص ٥٢ - ٦٢ (منهج البحث الادبي عند العقاد ، وقد نشرته من قبل بالثقافة بمصر ، مارس ١٩٧٥ .

(٧١) انظر ص (٢٧) .

(٧٢) أنا - ص ٣٢ .

وهذا ما جعله — في غيرة تحمسه للتجديد — يرى ان " التجديد يسد والمحافظة عندي يلتقيان في معظم الامور " (٧٣) ، كما انه ولع بابراز الحس الضائع والحقيقة المجهولة ، يقول عن منهجه في التراجم والسير :

" أن تكون كتابتها لازمة لابراز حق ضائع او حقيقة مجهولة ، وتستوي في ذلك سير العظماء والنوابغ من كل طراز ، وفي كل طبقة من طبقات العظمة والنبوغ ، فالجاحظ الاكبر حتى تأليف كتابي عن " ابن الرومي " انه مجهول القدر بخوس الحق يصطلح على تحسسه والنزول به عن قدره جهل النقاد وظلم الاغراض والاهواء " ، وان يبالغ مبالغة نابعة من الحدة العقادية ، ويمضي يقول عن ابن الرومي :

ورأيي فيه انه اعظم امراء العالم بلا استثناء في ملكة الوصف التصويري والعاطفة الممثلة في قالب الحس والخيال ، ولكن نقادنا يذكرونه ويحسبون انهم يتعطفون عليه اذا الحقوه بشاعر كالبحتري او ابن المعتز على غير مساواة ، وهما بالقياس اليه كمن ينطق بحروف الجهاء في مجالس البلغاء " (٧٤) .

ويتضح من النص غلو العقاد ، واسرافه في المبالغة المنصفة اسرافه في المبالغة المجحفة في مجال آخر ، ويحدثنا عن طريقته في الكتابة حيث التنقيح والمعاودة ، وعن خطته في المناقشة حيث يعمد الى اقوى الحجج بداءة فيقوضها ثم يقوضها قبلاً ضعف الحجج ويلخص منهجه في تأليف الكتب (٧٥) في : التقسيم والتنظيم .

---

(٧٣) انا ، ص ٣٢ .
(٧٤) انا ، ص ١٠٨ (منهجي في كتابة المقالات .
(٧٥) انا ، ص ١١١ ، ١١٢ — فصل بهذا العنوان .

وهذه الخطوط العامة التي يصرح العقاد بها تعين على فهم منهجه وطريقة تفكيره قبل ان نمضي مع "المنهج العلمي والفلسفي" لديه كما ناقشه حلمي مرزوق في كتاب "تطور النقد والتفكير الادبي الحديث في مصر في الربع الاول من القرن العشرين" (٧٦) ، وكما وقف فيه على شمولية منهج العقاد ومذهبه الانساني التكاملي ، ونظرته للحياة على انها مادة وروح او شكل ومضمون او صورة وهيولى ، حيث لا غنى لاحدهما عن الاخر ، وايمانه بالنسبية في الحكم الادبي ، والوحدة العضوية ، والشعور الصادق ، والاصالة ، وأخذه فكرة الخيال عن الرومانتيكيين وتفرقة بين الخيال والوهم او التوهم Fancy الذي رمى به شوقيا ، واعتماده "كولردج" في ذلك .

وقد ارتبط التصور والخيال "بكولردج" ، وقد رأوا ان من اولى فضائل خيال الشاعر ايجاد الفكرة بما يسمى ابتكارا ، وتشكيل الفكرة بما يسمى تصورا ، واظهارها في فن القول ، وبذلك تتحقق الحيوية ، والخصوبة والدقة ، واذا كان جون لوك ، قد شبه العقل البشري بصفحة ورق بيضاء يترك فيها العالم الخارجي انطباعات ، فان قدرة التصور في ربط الصور المتناظرة اشاعت نظرية ترابط الافكار Asso ciation of ideas

وقد شرح كولردج نظريته في الخيال كاملة في كتابه (سيرة ذاتية) ، الذي كتبه سنة ١٨١٥ ، ونشره سنة ١٨١٧ ، وكان احد الخمسة العظام فيما سماهم باورا (٧٧) وهم : بليك ، وكولردج ، ووردزورث ، وشلي ، وكيتس وقد اكمل كولردج النظرية في هذه المقدمة لمجموعة اشعاره والتي تحولت الى هذا العمل النقدي ، وقد صرح بأثر كانت فيه حتى ليصرح بأن فلسفته امسكت بتلابيبه كيد عملاقه ، وقد مضى مفرقا بين التصور والخيال ،

---

(٧٦) دار المعارف ، ط ١ ، ١٩٦٦ ، ص ٤٣٦ - ٤٩٨ .

(٧٧) Bowra, m. The Romantic Imagination oxford Paper books, I96I